شرح الخلخالي لتفسير - سورة فصلت- من تفسير البيضاوي

مصطفى محمد صالح عطية الحمداني* **أ.م.د.عمار حكمت فرحان الحديثي***

باحث من العراق **باحث من العراق**

*جامعة بـغـداد/ كلية العلوم الإسلامية/قسم العقيدة والفكر الإسلامي
mustafamohammedsaleh@gmail.com

ملخص :

إنّ أفضل ما يسعى إليه الإنسان وخير وما يقدمه مِنَ الإعمال الصالحة خدمة كتاب اللّٰه العزيز الذي لا يأتيه الباطل مِنْ بين يديه ولا مِنْ خلفه، والذي جعله اللّٰه نورًا للإنسانية وختم به الرسالات السماوية وامتن به على البشرية، وبما أنّه كان للعلماء القدامى اليد الطولى في تفسير القرآن العظيم وكذلك المتأخرين منهم ممن اشتغل بذلك فذللوا بذلك الكثير مِنَ الصعاب على طلبة العلم فقد جعلهم اللّٰه جل ثناؤه حملة هذا الكتاب العزيز وسرج هذا الدين ومشاعل نور لهذه الأمة، والشيخ الخلخالي مِنْ بين هؤلاء العلماء والذي كان له دور في خدمة كتاب اللّٰه المجيد.

فتأتي أهمية الموضوع مِنْ ارتباطه بكتاب اللّٰه العزيز، ولما له من أهمية كبيرة وفائدة عظيمة، وأهمية تحقيقه أكبر لأسباب منها: أنّ هكذا مخطوطات بما تحمله مِنْ علم إذا ضاعت ضاع العلم الذي بين ثنياها، لذا يكون تحقيقها أهم وأولى، كما وأردت التعريف بعالم مِنْ علماء الأمة وإخراج بعض مِنْ نتاجه العلمي، لذلك تأتي أهمية هذا المخطوط لكي تُجدد معرفة طلبة العلم والباحثين بهذا العالم وبمكانته العلمية، ولكي يتعرفوا على آثاره ومصنفاته حتى يعملوا على تحقيقها ودراستها.

كلمات مفتاحية :الخلخالي ، مذهبه ، تلاميذه ، سياسة ، آراء

Al-Khalkhali's explanation of the interpretation of Surat Fussilat from Tafsir al-Baydawi

Prof. Dr. Ammar Hikmat Farhan Al-Hadithi / Mustafa Muhammad Salih Attia Al-Hamdani

University of Baghdad/College of Islamic Sciences/Department of Creed and Islamic Thought

ABSTRACT

The best of what a person strives for and the goodness and good deeds he offers are the service of the Holy Book of God, which falsehood does not come to it from before it or from behind it, which God made a light for humanity, sealed the heavenly messages with it, and was grateful to humanity, and since the ancient scholars had the upper hand in interpreting The Great Qur'an, as well as the later ones among them who occupied themselves with that, and thus surmounted many difficulties for the students of knowledge, for God Almighty made them bearers of this dear book, the lamp of this religion and the torches of light for this nation, and Sheikh Al-Khalkhali is among these scholars who had a role in serving the Glorious Book of God.

The importance of the subject comes from its connection with the dear Book of God, and because of its great importance and great benefit, and the importance of achieving it is greater for reasons including: that such manuscripts with the knowledge they carry is lost, so the knowledge that is between its folds is lost, so its investigation is more important and first, as I wanted to introduce a scientist from among the scholars The nation and extracting some of its scientific output, so the importance of this manuscript comes in order to renew the knowledge of students and researchers of this world and its scientific status, and to get acquainted with its effects and works in order to work on its investigation and study.

KEYWORDS: Al-Khalkhali, his doctrine, his students, politics, opinions.

القسم الأول: الدراسي

المبحث الأول: حياة الخلخالي وعصره

المطلب الأول: حياته الشخصية

أولا: اسمه ونسبه ولادته ونشأته وموطنه:

هو المولى السيد حسين بن حسن الحسيني الخلخالي[1]، ونسبته إلى خلخال مدينة بأذربيجان[2]، وهي مدينة وكورة في طرف أذربيجان، متاخمة لجيلان في وسط الجبال وأكثر قراهم ومزارعهم في جبال شاهقة، بينها وبين قزوين سبعة أيام، وبين أردبيل يومان، وفى هذه الولاية قلاع حصينة[3] أمَّا ولادته ونشأته فمن خلال البحث في كتب التراجم، لم أجد عنه شيئاً يذكر فيما تيسير إليَّ الاطلاع عليه من هذه المصادر.

ثانيا: وفاته:

لم تذكر كتب التراجم سوى أنَّه توفي سنة: 1014ه[4].

المطلب الثاني: حياته العلمية

أولا: شيوخه وتلاميذه

شيوخه:

لم تذكر المصادر الكثير عن شيوخه إلا واحدًا، فالخلخالي أخذ عن العلامة حبيب الله الشهير بمرزاجان الشيزاري[5].

تلاميذه:

لم تقتصر جهود الشيخ الخلخالي العلمية على التأليف والتصنيف بل تجاوز ذلك إلى التعليم والتدريس، ولا شك أنَّ هكذا عالم لابد له من تلاميذ تلقوا عنه العلوم واذكرهم على النحو الآتي:

لم تقتصر جهود الشيخ الخلخالي العلمية على التأليف والتصنيف بل تجاوز ذلك إلى التعليم والتدريس

1- عبد الكريم بن سليمان بن عبد الوهاب الكوراني[6].

2- عبد الرحيم بن محمد: مفتي الدولة العثمانية المحقق الشهير أحد أعيان علماء الزمان الذين ابتهجت بهم الأوقات وتزينت بحلى مآثرهم الأيام رحل في مبدأ أمره من بلده ادنه إلى بلاد الأراد وقرأ بها العلوم الحكمية والرياضية والطبيعية والإلهية على المولى حسين الخلخالي وفاق في المعرفة والاتقان ثم اعتني بتتميم المادة حتى اجتمع فيه من الفنون ما لم يجتمع فيما سواه ممن عاصره وكان في جميع أحواله مثابرا على التحصيل لا يمل ولا يفتر ونما به حظه فوصل إلى المدرسة السليمانية وولي منها قضاء ينكى شهر ثم تقاعد بعد ذلك عن القضاء واختار التدريس فوجهت إليه مدرسة السلطان أحمد برتبة قضاء قسطنطينية ثم ولي

(1) يُنظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي: 122/2، والأعـــلام، الزركلي: 235/2، ومعجم المؤلفين ، لعمر كحالة:319/3.

(2) يُنظر: لب اللباب في تحرير الأنساب ، السيوطي:95، خلاصة الأثـر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي:122/2، ومعجم المؤلفين ، لعمر كحالة: 319/3.

(3) يُنظر: معجم البلدان ، لياقوت الحموي:381/2، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، لابن عبد الحق: 477/1.

(4) يُنظر: خلاصة الأثـر في أعـيـان الـقـرن الـحـادي عشر، للمحبي:122/2، معجم المؤلفين ، لعمر كحالة: 319/3.

(5) يُنظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي: 122/2.

(6) يُنظر: المصدر نفسه: 122/2، والأعلام ، الزركلي:235/2.

قضاءها استقلالاً ونقل منها إلى قضاء العسكر بابا طولي في سنة خمس وألف ولما عزل عنها أمر بالتوجه إلى بلده أدنه بالأمر السلطاني ثم عاد منها بطلب مِنْ جانب السلطنة، وولي قضاء العسكر بروم أيلي في شوال سنة خمس وخمسين وألف ثم صار مفتي الدولة في سنة سبع وخمسين وألف وتمكنت قواعد جاهه في الفتيا واستقل بأمر الدولة حتى كان برأيه قتل السلطان إبراهيم، وقد قام بذلك الأمر أتم القيام وأفتى بقتله بناء على أنَّه انتهك بعض الحرمات وانجر أمره في ذلك إلى غصب بعض نساء ذوات أزواج ونقم عليه أموراً غير ذلك كلها خارجة عن جادة الشريعة فخلعه صاحب الترجمة مِنْ السلطنة وأفتى بقتله فقتل كما ذكرناه في ترجمته وعلت حرمة المترجم بعد ذلك وهابه الخلق ثم عزل عن الفتيا وأمر بالتوجه إلى الحج فسار مِنَ البحر إلى مصر وذلك في سنة تسع وخمسين ثم بعد ما حج عاد مِنَ الطريق الشامي ونزل بالمدرسة السليمانية ووجه إليه قضاء القدس فتوجه إليها وأزال منها بعض أموره منكرة ثمَّ وجه إليه قضاء بلغراد وإفتاؤها فسافر إليها وأقام بها إلى أنْ توفي وكانت وفاته في حدود سنة:1062ه[7].

(7) يُنظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي: 412-411/2.

3- محمد الأمين بن صدر الدين الشرواني: نزيل قسطنطينية أجلّ أفراد الدنيا في التحقيق والتبحر مِنْ كل فن لم تر عين مَنْ وصل الى ثمة مِنْ ذكائه وتضلعه مِنَ العلوم في عصره أخذ عن الملا حسين الخلخالي وكان يعرض عليه حاشيته على شرح العقائد العضدية للملا جلال الدواني فيزيفها له حتى شهد له بأنَّه أفضل منه ومِنْ مؤلفاته: تعليقات على أماكن مِنْ تفسير البيضاوي، وكلامه فيها يدل على أنَّه جمع الفنون كلها، وشرح على جهة الوحدة التي للفنري في أول شرحه على ايسا غوجي صعب المسلك وهو يقرأ في الروم واعتنى به جماعة وكتبوا عليه حواشي وتحريرات منهم السيد المعروف بأزميرى أمير واعظ جامع السلطان بايزيد كان قد كتب قرأته بعون الله تعالى مع حواشيه بالروم وانتفعت به، وله كتاب سماه: الفوائد الخاقانية، مشتمل على ثلاثة وخمسين علمًا ألفه باسم السلطان أحمد وجعل العلوم التي فيه عدد اسمه توفى في سنة:1036ه[8].

لا شك أنَّ لعقيدة المسلم أهميتها وخطورتها في سلوكه وخُلقه وثقافته وفكره وسائر نشاطاته العلمية

(8) يُنظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي: 476-475/3.

ثانيا : مذهبه العقدي والفقهي

لا شك أنَّ لعقيدة المسلم أهميتها وخطورتها في سلوكه وخُلقه وثقافته وفكره وسائر نشاطاته العلمية، والأمر أكثر أهمية بالنسبة للأئمة والعلماء، لاتساع أثر العقيدة وامتداده إلى تلاميذهم، ومؤلفاتهم التي يتلقاها القراء، والمتعلمون وهكذا يسلكون طريقهم وينتهجون منهجهم، فإنَّ سلموا مِنَ الفساد في العقيدة والانحراف في السلوك كانوا هداة خير ودعاة إلى السبيل القويم وإلا لحق الضرر والضلال

بالتابعين لهم والسالكين طريقهم.

أمَّا مذهبه العقدي: فهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وتتضح سلامة عقيدته من حكمه على الفرق الضالة والاتجاهات المنحرفة، حسب ما اتضح لي مِنْ خلال تحقيقي لمخطوطه هذا.

وأمَّا مذهبه الفقهي: فهو على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان[9].

(9) يُنظر: معجم المؤلفين ، لعمر كحالة: 319/3.

ثالثا: مكانته العلمية وآثاره الخطية

مما لا شك فيه أنَّ ما يقرر ثقافة العلماء ومكانتهم هو مؤلفاتهم وتلامذتهم الذين أخذوا عنهم العلم واشتهروا في الآفاق وحدثوا عن شيوخهم، ورغم قلة المصادر التي تحدثت عنه في هذا الجانب، إلا أنه قد ظهر جلياً أن الشيخ الخلخالي أحتل مكانة علمية عصره، ودليل ذلك مصنفاته التي ألفها، كما أن القارئ لها يجده باحثًا مِنَ الطراز الأول، فهو موسوعي وصاحب علم جم وثقافة واسعة، فقد كان متمكنًا مِنَ اللغة مالكًا لعدة النحو والصرف والبلاغة عارفًا بالفقه وآراء الفقهاء، ملمًا بالحديث النبوي الشريف، ممتلئاً بأقوال المفسرين، عالمًا بآراء علماء العقيدة والفرق والمتكلمين حافظًا للشعر وأقوال السلف الصالح، وغير ذلك مما يحتاجه مَنْ يتصدَّى لتفسير آيات الذكر الحكيم.

أنَّ ما يقرر ثقافة العلماء ومكانتهم هو مؤلفاتهم وتلامذتهم الذين أخذوا عنهم العلم واشتهروا في الآفاق وحدثوا عن شيوخهم

وقدم الشيخ الخلخالي للتراث الإسلامي والإنساني مجموعة مِنَ المؤلفات في مختلف العلوم المعروفة في زمانه غير أنَّ أكثر هذه المؤلفات لم تصل إلينا وبعضها لا زالت مخطوطة تنتظر الطبع، وقد تنوعت مؤلفاته وأثاره فشملت كثير مِنَ العلوم كالتفسير واللغة والفقه والعقيدة وغير من العلوم التي برع فيها، وفيما يأتي أهم مؤلفاته وآثاره التي تيسر لي الاطلاع عليها[10]:

(10) يُنظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي: 122/2، والأعـــلام، الزركلي: 235/2، ومعجم المؤلفين ، لعمر كحالة: 319/3.

1. حاشية على شرح الدواني لتهذيب المنطق.
2. حاشية على شرح العضدية.
3. المفاتيح في حل المصابيح.
4. حاشية على تفسير البيضاوي.
5. شرح الدائرة الهندية.
6. رسالة في المبدأ الأول وصفاته.
7. شرح الكافية لابن الحاجب.

المطلب الثالث: عصر الخلخالي

إنَّ الإنسان وليد بيئته التي يولد ويترعرع ناشئاً في أَكنافها، يصطبغ بصبغتها ويتأثر بظروفها ؛ إذ أنَّ للبيئة التي ينشأ فيها المرء والظروف التي تحيط به أثر عظيم في

بناء الشخصية الإنسانية ونبوغها الفكري في ميادين الثقافة والإبداع وذلك؛ لأنَّ ما يسطره الإنسان مِنْ تأليف في العلوم والفنون المختلفة لا يخلو مِنْ روح العصر وفكره الشائع، سواء كان ذلك تصديًا لما هو قائم وشائع، أو استجابة له وانصياعًا لتياراته.

ومِنْ هنا كان مِنَ الانصاف وأنا أكتب عن ذلك العالم الفاضل أنْ أضع سطورًا مِنْ صفحات هذه الأطروحة عن بيئته التي نشأ وترعرع فيها وظروف عصره التي أَحاطت به مِنَ النواحي الآتية بإيجاز غير مخل لقلة المصادر التي تحدثت عنه:

أولا: الحالة العلمية

قامت المؤسسات التعليمية العثمانية وتطورت الحياة العلمية بفضل التقاليد المستقرة التي ورثها العثمانيون عن الحواضر القديمة منذ عهد السلاجقة، وقد سار التعليم لحقبة طويلة عند العثمانيين عن طريق المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ويمكننا القول إنّ المدارس العثمانية في عهودها الأولى كانت استمرارًا طبيعيًا للنشاط التي توطدت أركانه في مدن الأناضول قبل العثمانيين، مثل: أماسيا، وقونية، وقيسريه، وقرمان، وكان الفضل في ظهور هذا النشاط للعلماء الذين وفدوا من مصر وسوريا وإيران وتركستان والتي تعد مِنْ أهم المراكز العلمية والثقافية في ذلك العصر[11].

(11) يُنظر: تاريخ الدولة العثمانية ، ليلماز أوزتونان:485/2.

وأسهم نظام المدرسة التي تركه السلاجقة الأتراك مع ما أضافه الأتراك العثمانيون عقب كل فتح مدينة جديدة أنْ يكون همهم الأول هو إقامة جامع والى جواره مدرسة وكان هذا التقليد موجه لتنشئة الكوادر الإدارية والعلمية اللازمة لإدارة دفة الأمور في الدولة، فضلاً عن القيام بالمهمات الدينية والعلمية والتعليمية اللازمة للدولة والمجتمع[12].

(12) يُنظر: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، لأكمل الدين إحسان أوغلى: 453/2.

وقد خبر السلاطين العثمانيين الأوائل قيمة العلم والعلماء فكانت لهم خطوات ملموسة للتشجيع عليه

وقد خبر السلاطين العثمانيين الأوائل قيمة العلم والعلماء فكانت لهم خطوات ملموسة للتشجيع عليه، وكانت بداية التعليم المدرسي عندهم بداية متواضعة ظهرت مع أول مدرسة في الدولة وهي مدرسة أزنيق التي أقامها السلطان أرخان غازي سنة 731ه[13].

(13) يُنظر: تاريخ الدولة العثمانية مِنَ النشوء إلى الانحدار، لخليل إَينالجيك: 255.

وجرى تشجيع نظام الأوقاف ليكون هو السياسة المعتمدة التي تجري عليها الدولة فالمدرسة هي عبارة عن مؤسسة وقفية تكون عنصرًا مِنْ مجمع يضم جامعًا وغيرها مِنَ المنشآت الخيرية التي تساعد على التعليم، وهي مؤسسة تدار إدارة ذاتية لها أوقاف تصرف عليها مِنْ بساتين ودور وأسواق، أمَّا المدرس فيعين بمرسوم سلطاني[14]، ولم يمض وقت طويل حتى كثرت المدارس في كافة مدن الدولة

(14) يُنظر: المصدر نفسه: 259.

وكانت علوم الدين والعربية مِنَ المقومات الأساسية في ثقافة الترك آنذاك، وهو الاستمرار الطبيعي للعصر العباسي فالسلجوقي فالمملوكي، ولكن لابد لكل عصر من ميزات[15].

(15) يُنظر: محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني ، لعمر موسى باشا:203.

وكانت حياة العثمانيين العلمية تكاد تخلو مِنَ الإبداع فهي تتخذ طريقها في مجاري التقليد والتبعية، ذلك أنَّ العلم بالنسبة للشاب التركي المسلم ليس معرفة جديدة، بل التمكن لأبعد حد ممكن مِنَ العلوم التي أنتجتها الأجيال السابقة، وكان أعظم القدر عندهم التفقه في الدين[16].

(16) يُنظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، لكارل بروكلمان:482.

ولما اعتلى السلطان سليمان القانوني عرش السلطنة أراد أنْ يضفي على التعليم في دولته تغييرًا جذريًا، فبنى كليته في المرتفع الثاني مِنَ المرتفعات السبعة التي تعرف بها اسطنبول، وهذه الكلية التي أطلق عليها اسم السليمانية، مثلت ذروة التاريخ الثقافي والعلمي والتعليمي عند العثمانيين، وقد شكل إنشاء تلك الكلية ما بين 963-975هـ الكشف عن قوة القانوني وعبقرية المعمار سنان (ت: 980هـ) مرحلة تطور هامة في التعليم العثماني والتجديدات التي طرأت عليه، فقد أقام حول جامعه عددًا مِنَ المدارس والكتاتيب، وكان التعليم فيها في شتى المستويات وفروع التخصصات، وأقيم داخل الكلية كتاب للصبية وأربعة مدارس عرفت بمدارس الصحن، كما أوجد مدرستان للتخصص وهما: مدرسة الحديث (دار الحديث) ومدرسة الطب (دار الطب) عرفت بالمدارس السليمانية[17] إلى جانب مرافق أخرى مِنْ مكتبات ودار الإطعام ودار النقاهة وكانت كلية القانوني تمثل النموذج المتطور بعد كلية الفاتح، وتقوم بخدماتها العلمية والدينية والإنسانية والاجتماعية والثقافية في إطار متكامل، وقد رتب القانوني أجر كل مدرس من مدارسه، فالمدارس الأربعة يتقاضى مدرسوها: ستون أقجة[18]، ومدرس دار الحديث: خمسون أقجة، ومدرس دار الطب: عشرون أقجة، وبهذا تصدرت مدارسه مدارس الصحن التي أنشأها الفاتح وقد ارتفع أجر مدرس دار الحديث إلى مائة أقجة، وبذلك أصبحت تلك المدرسة أرفع المدارس العثمانية[19]، واستطاعت المدارس السليمانية أنْ تحافظ على مكانتها العالية داخل التدرج المعروف في المدارس حتى العهود التالية، ويعتبر عصر سليمان القانوني منعرجًا حاسمًا لنظم التعليم في الدولة فقد نظمها بمراسيم سلطانية بعد سنة:926ه، وحدد أنماط المدارس للدراسات العليا وأخرى للدنيا، وقسم درجات الدراسة إلى إحدى عشرة قسمًا مجزأة على جزأين: جزء يسمى الدراسات الفكرية، وجزء يسمى الدراسات الدينية، وفي كل قسم يتوج المتعلم بشهادة تحوله إلى القسم الأعلى، وأمر أنْ تكون الدراسة مجانية

(17) يُنظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، لخليل إينالجيك: 259.

(18) الأقجة: عملة عثمانية فضية تساوي ربع أو ثلث البارة ، سكها الغازي أورخـان سنة: ١٣٢٧م. ينظر: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية ، لعامر محمود: 362.

ويعتبر عصر سليمان القانوني منعرجًا حاسمًا لنظم التعليم في الدولة فقد نظمها بمراسيم سلطانية بعد سنة:926هـ

(19) يُنظر: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، لأكمل الدين إحسان أوغلى: 460/2.

وضمن للتلاميذ المأكل والسكن وكان يتعهد المدارس بالهبات والأوقاف، وكانت الكليتان السليمانية والفاتح نقطتي تحول كبيرتين في الحياة العلمية عند العثمانيين ؛ إذ تمثلان أرفع المستويات التي بلغها الجهاز التعليمي مِنْ حيث أشكاله المعمارية والإمكانات المادية التي تتمتع وثراء برامجه التعليمية ومكتباته[20].

(20) يُنظر: المصدر نفسه: 461/2.

ولقد تأرجح طلب العلم في الدولة العثمانية بين لغات ثلاث، التركية والعربية والفارسية، وأصبح المثقف منوطًا به أنْ يحسن استخدامها، فاللغة التركية التي أثبتت وجودها المدون منذ القرن السابع الهجري كانت زاخرة بالمفردات العربية، كما اقتبست أخرى مِنَ الفارسية وسارت مع العربية وهي الأعلى شأنا، حتى جاء السلطان سليم وفكر في جعل اللغة العربية لغة الدولة[21] أمَّا في عهد سليمان القانوني فقد رجعت فيه الدولة سيرتها الأولى، وأصبح إتقان اللغات الثلاثة ضروريًا لكل متأدب أو سياسي، وأصبح هذا المسلك طريقة مثالية للوصول إلى المناصب السلطانية، وبعد أنْ انتشرت اللغة التركية في كامل العالم الإسلامي بما فيه الوطن العربي، وأصبح مثقفوه يتقنوها وحتى العامة تداولوا كلمات منها ليست بالقليلة[22] ومهما كانت اللغة المتداولة عند العثمانيين في حركتهم التعليمية أو الرسمية نجدها قد أفرزت نشاطاً علمياً، كان له ثمار تجسد في بروز مؤلفات كثيرة جداً في ميدان العلوم الدينية والأدبية والتاريخية وأغلبية مؤلفيها كانوا نتاجاً للنشاط العلمي الذي نمى في المدارس الكثيرة المنتشرة في بلاد الترك، وقد قيل إنّ لا جديد في هذا التراث إذ لم يخرج عن تقليديته وظل مؤلفوه يعتمدون على تدارس علوم السلف من تفسير وحديث وقراءات وفقه بالشرح أو التعليق أو الاختصار أو التصنيف على غرارها[23].

(21) يُنظر: من أعـلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ، لليلى الصباغ: 9.

(22) يُنظر: محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، لعمر موسى باشا: 204.

(23) يُنظر: كشف الظنون ، لحاجي خليفة: 427/1، 635/1، 1282/2.

ولكن قبل الحكم نهائيًا بالتبعية في هذا التأليف في ذلك العصر بالذات يجدر بنا أنْ نذكر عند مسح مؤلفات الأتراك ندرك أنَّه يوجد تيار علمي نشيط له مؤلفات كان محورها العلوم العقلية كالرياضيات والفلك والطب والكيمياء، وفي الحقيقة أنَّ مَنْ يقرأ بدقة كتب التراجم في هذه الحقبة سيخرج بحصيلة خصبة في عمل رائد في شتى المجالات والعلوم[24].

عاش الخلخالي في عهد الدولة العثمانية ما بين النصف الثاني من القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري

(24) يُنظر: من أعـلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول، لليلى الصباغ:22.

ثانيا: الحالة السياسية

عاش الخلخالي في عهد الدولة العثمانية ما بين النصف الثاني من القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، وكان زمنًا تحكمه الاضطرابات السياسية الداخلية والخارجية، وقد عاش الشيخ الخلخالي في ظل أربعة سلاطين للدولة العثمانية وهم:

1- السلطان سليم الثاني (926- 982ه).

2- السلطان مراد الثالث (982- 1003ه).

3- السلطان محمد الثالث (1003- 1012هـ).

4- السلطان أحمد الأول (1012- 1026ه).

يُعد عصر سليمان القانوني عصر الدولة العثمانية الذهبي، وما أنْ انقضى هذا العصر حتى أصاب الدولة الضعف والتفسخ، فقد كان سليم الثاني، خليفة سليمان، سلطانًا ضعيفًا لا يتصف بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلاً عن إضافة شيء إليها[25]، وما يميّز عهد هذا السلطان هو أنَّ وظيفة الصدر الأعظم أصبحت تجعل مَنْ يتقلدها الحاكم الفعلي وقائد الجيوش، فلولا وجود الصدر الأعظم محمد باشا صقللي المخضرم في الأعمال السياسية والحربية لسقطت الدولة [26] لكن حسن سياسة هذا الرجل وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب أعدائها حفظها مِنَ السقوط مرة واحدة[27]، ومِنْ أعمال محمد باشا صقللي أنْ أرسل جيشًا كبيرًا إلى اليمن سنة 1569م بقيادة عثمان باشا يسانده سنان باشا والي مصر، لقمع ثورة الزيود وتمكن الجيش مِنْ إخماد الثورة، ودخل مدينة صنعاء بعد أنْ فتح جميع القلاع ومِنْ أعمال الصدر الأعظم أيضًا فتح جزيرة قبرص وانتزاعها مِنْ أيدي البنادقة[28].

شنّت الدولة العثمانية في عام 1569م أيضًا حملة على مدينة أسترخان، الواقعة على مصب نهر الفولغا في بحر قزوين، بهدف استرداد الإمارة ووضع حد لامتداد روسيا مِنْ ناحية الجنوب، خشية أنْ يؤدي توسعها إلى استيلائها على الطرق التجارية والأسواق الكبرى وإلى هيمنتها على تجارة البلدان الإسلامية، إلا أنَّ هذه الحملة كان مصيرها الفشل، بسبب امتناع خاقان القرم، «دولت گراي»، عن التعاون مع الجيش العثماني وسعيه شخصيًا ؛ لأنْ يقوم بالاستيلاء على أستراخان وقازان كما تعذر ضرب الحصار على المدينة ؛ لأنَّ الروس بنوا قلعة قوية إلى الجنوب منها، على الطريق المؤدية إليها حالت دون تقدم الجيش العثماني[29].

وفي عهد السلطان سليم الثاني جرت موقعة ليبانت البحرية التي هزّت صورة البحرية العثمانية والجيش العثماني الذي اعتبره كثيرون لا يُقهر، وتفصيل ذلك أنَّه بعد ازدياد الخطر العثماني في البحر المتوسط على أوروبا، وخاصة بعد فتح جزيرة قبرص، وبعض المواقع على البحر الأدرياتيكي، تحالف فيليب الثاني ملك إسبانيا مع البابا بيوس الخامس، وجمهورية البندقية لوقف التقدم العثماني باتجاه إيطاليا مِنْ جهة، واسترداد جميع المواقع التي فتحوها على حساب أوروبا وبخاصة في شمال أفريقيا من جهة أخرى[30]، فجمعوا مائتين وثلاثين سفينة وثلاثين ألف جندي، وسلموا لواء القيادة إلى الدون يوحنا النمساوي، الذي أبحر إلى خليج

(25) يُنظر: المصور في التاريخ ، لشفيق جحا: 146/6.

(26) يُنظر: تاريخ الدولة العليّة العثمانية ، لمحمد فريد بك: 253.

(27) يُنظر: المصدر نفسه: 253.

(28) يُنظر: تاريخ الدولة العليّة ، لمحمد فريد بك:255.

(29) يُنظر: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، لمحمد سهيل طقوش: 234-233.

(30) يُنظر: المصدر نفسه: 237.

باتراس، أحد فروع البحر الأيوني، وهناك اشتبك الأسطولان العثماني والأوروبي في معركة بحرية طاحنة هي إحدى أكبر المعارك في التاريخ الحديث، أسفرت عن انتصار الأوروبيين وانهزام العثمانيين هزيمة منكرة[31]، ولم تُقعد هذه الحادثة همّة الصدر الأعظم محمد باشا صقللي، بل انتهز فرصة الشتاء وعدم إمكانية استمرار الحرب لتجهيز أسطول جديد، وبذل النفس والنفيس في تجهيزه وتسليحه حتى إذا أقبل صيف سنة: 1572م كان قد تمّ بناء مائتان وخمسون سفينة، وأعلم الصدر الأعظم البنادقة باستعداده للجولة الثانية، ففضلت البندقية أنْ تجنح للسلام ووقعت مع الدولة العثمانية معاهدة بذلك سنة: 1573م[32]، فتفرغ العثمانيون لمحاربة إسبانيا التي عادت لاحتلال تونس، وكذلك هزموا أمير البغدان الذي تمرّد على الدولة طلبًا للاستقلال، توفي السلطان سليم الثاني سنة 1574م، الموافق سنة 982ه[33]، وتولّى بعده ابنه مراد الثالث، وفي عهد هذا السلطان تدخلت الدولة العثمانية في انتخاب حليفها «أتيين باتوري»، أمير ترانسلڤانيا، ملكًا على بولندا بعد شغور العرش، وبذا تحولت الحماية العثمانية على بولندا مِنْ حماية اسمية إلى حماية فعلية[34]، أمَّا أهم ما حصل في عهد السلطان مراد الثالث هو التوسع العثماني في الشرق، على حساب الدولة الصفوية، فبعد وفاة الشاه طهماسب الأول مِنْ غير أنْ يسمي مَنْ سيخلفه، تنازع أبناؤه على السلطة، فأرسل الصدر الأعظم محمد باشا صقللي حملة عسكرية إلى بلاد فارس لفتح ما تيسر مِنْ مدنها، فضموا إليهم مِنْ أملاكها بلاد الكرج، ثم أذربيجان الشمالية، ثم بلاد داغستان' تعرضت الدولة العثمانية بعد هذه الغزوات لخضّة سياسية عنيفة، عندما تقلّص نفوذ الصدر الأعظم محمد باشا صقللي، ومن ثم قُتل في سنة 1579م، فعمّت الفوضى بعد موته بفعل ضعف حلفائه وتمرّد الانكشارية، وراح الولاة يتنافسون فيما بينهم على منصب الصدارة العظمى، وفي عام 1590م أبرم العثمانيون صلحاً مع الصفويين، اعترفوا فيه بما تم ضمه إلى الدولة العثمانية، إضافة إلى جنوب أذربيجان بما فيها العاصمة تبريز، وبعد إبرام الصلح استتب الأمن على حدود الدولة، إن في الشرق أو في الغرب، فثار الانكشارية في القسطنطينية وفي الولايات نظراً لهبوط قيمة أجورهم، الأمر الذي دفع الصدر الأعظم الجديد، سنان باشا، أن يشغلهم بالحروب مع النمسا في المجر، ونظراً لما وصل إليه الانكشارية من فوضى توالت عليهم الهزائم، وفقدوا بعض القلاع، وعلى الرغم من أن سنان باشا استطاع أن يستردها لاحقًا' إلا أنَّ أمراء الأفلاق والبغدان وترانسلڤانيا استغلوا الموقف وانتصروا على الجيوش العثمانية في بضعة معارك واستردوا منهم بعض المدن[35].

أبرم العثمانيون صلحاً مع الصفويين، اعترفوا فيه بما تم ضمه إلى الدولة العثمانية

(31) يُنظر: تاريخ الدولة العليّة ، لمحمد فريد بك: 257.

(32) يُنظر: تاريخ العثمانيين ، لمحمد سهيل طقوش: 239.

(33) يُنظر: تاريخ الدولة العليّة ، محمد فريد بك، ص258.

(34) يُنظر: المصدر السابق:240.

(35) يُنظر: تاريخ العثمانيين ، لمحمد سهيل طقوش: 241و243.

تولّى عرش آل عثمان بعد وفاة مراد الثالث ابنه محمد، الذي خرج عن القاعدة التي استفحلت منذ أيام جده سليم الثاني، وهي تولي الصدر الأعظم قيادة الجيش، فقاد الجيوش بنفسه وخرج لقتال المجر والنمسا، وانتصر عليهم في موقعة كرزت سنة 1596م[36]. وفي بداية القرن السابع عشر حصلت في الأناضول ثورة داخلية كادت أنْ تكون عاقبتها وخيمة على الدولة، خصوصًا وأنَّ نار الحروب كانت مشتعلة على حدود المجر والنمسا، وخلاصتها أنَّ قائد إحدى فرق الإنكشارية التي نفيت إلى الأناضول عقابًا لها لعدم ثباتها في موقعة كرزت، ادعى أنَّه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يبشره بالنصر على العثمانيين، فأعلن العصيان وثار على الدولة وقام بعدد مِنَ الفتن إلى جانب شقيقه، ثمَّ مات بعد أنْ أصيب بجراح في إحدى المعارك، لكن شقيقه استمر يعصي الدولة إلى أنْ أعطته ولاية البوسنة ليحارب الأوروبيين حتى هلكت جيوشه عن آخرها في المناوشات المستمرة بينها وبين النمسا والمجر، وأعقبت هذه الثورة الكبيرة ثورة أخرى في إسطنبول هي ثورة الخيالة، الذين طالبوا بتعويضهم عما لحق بهم مِنْ أضرار جرّاء الثورة السابقة فاستعانت الدولة عليهم بجنود الانكشارية وأدخلتهم في طاعتها مجددًا[37].

(36) يُنظر: تاريخ الدولة العليّة ، لمحمد فريد بك: 268.

(37) يُنظر: تاريخ الدولة العليّة ، لمحمد فريد بك: 268.

كانت الدولة العثمانية تتألف من عدة شعوب لكن أهمها شعبان هما: الترك والعرب

ثالثا: الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

كانت الدولة العثمانية تتألف من عدة شعوب لكن أهمها شعبان هما: الترك والعرب فالترك الذين منهم السلاطين والعرب الذين يشكلون جزءًا كبيرًا مِنَ الدولة العثمانية وهذا فضلا عن عدد مِنَ الشعوب الأخرى كالهنود والأوربيين لكنها أقل أهمية لقلة أفرادها ونفوذها وقلة أهمية لغتها[38].

(38) يُنظر: التاريخ الاسلامي، الشيخ محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406ه، 19-18/8.

وقد وضع السلطان محمد الفاتح أساس النظام الإداري للدولة ثمَّ أكملها السلطان سليمان القانوني فيما بعد، وكانت للدولة هيئتان حاكمتان تختص كلتاهما بوظائف واختصاصات مختلفة فطبقة القولار تقدم إلى أبنائها تعليما تناول التربية العسكرية وتتناول أيضًا النواحي التثقيفية العلمية المحضة بينما كان اهتمام الهيئة الإسلامية مقصورًا على الدراسات الإسلامية[39].

(39) يُنظر: الدولة العثمانية ، لعبد العزيز محمد الشناوي: 455/1-456.

فعمل أفراد القولار في الجيش وفي الإدارة المركزية وفي حكومة الولايات وفي البلاط السلطاني، وكان أعلى منصب وصلوا إليه هو منصب الصدارة العظمى وأمَّا أفراد الهيئة الدينية الإسلامية فقد شغلوا مناصب القضاء والإفتاء وتدريس علوم الدين واللغة والمشاركة على نحو ما في إدارة الأوقاف الخيرية وإقامة الشعائر الدينية والإشراف على المساجد والمؤسسات الدينية والخيرية وكان أفراد مِنَ

الهيئة الدينية الإسلامية يصحبون شتى فرق الجيش إلى ميادين القتال ويقومون قبل المعركة بتسخين الجنود روحيًا ويذكرون لهم الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تدور حول أهمية الجهاد في سبيل الله ويشرحون لهم مواقف الصحابة حتى استطاعت الجيوش الاسلامية أنْ تدك معاقل الاعداء وكان أعلى منصب يصل إليه أفراد هذه الهيئة هو منصب شيخ الاسلام، وكان التعاون والتناصر بين الطبقات والشعوب المختلفة سائدًا وقويًا ولم يكن المجتمع مجتمع الفوضى أو انحطاط الآداب كما يزعم المستشرقون بل كان متمسكًا بآداب وأحكام الإسلام في معظم الشؤون والأوقات[40].

(40) يُنظر: المصدر نفسه: 361/1.

المبحث الثاني: الدراسة في الكتاب ومنهجي في التحقيق

المطلب الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف

إنَّ مِنَ الأمور الهامة في التحقيق؛ الوقوف على اسم الكتاب وتوثيقه الدقيق، ويتم هذا مِنْ خلال النظر في كتب التراجم التي تترجم للمؤلفين وكذلك فهارس الكتب والأدلة فضلا عن عنوانات نسخ المخطوط أو كتب المؤلف، والأمر أسهل إنْ وجد المحقق ما يشير إليه المؤلف في نص كتابه إلى التسمية.

(41) ينظر : الأعـلام، للزركلي : 235/2؛ وهـديـة العارفين، لإسماعيل الباباني : 291/1؛ ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة : 319/3.

فبعد النظر فيما بين أيدينا مِنْ مصادر لم نجد عنوانًا لهذا المخطوط سوى ما ذكر في بعضها مِنْ أنَّ الخلخالي صنف حاشية على البيضاوي مِنْ سورة يس إلى آخر القرآن الكريم[41].

(42) المخطوط، النسخة الأولى، لوحة : [ب/158].

(43) شماخي : بفتح أولـه وتخفيف ثانية، وخـاء معجمة مكسورة، وباء مثناة مدينة عامرة وهـي قصبة بـلاد شـروان في طرف آران تعد من أعمال باب الأبواب وصاحبها شروانشاه أخو صاحب الدربند، وهي من المدن الأذربيجانية القديمة التي توادت منذ القرن الخامس قبل الميلاد. ينظر : معجم البلدان، لياقوت الحموي : 361/3؛ و m3rfan. com

لكن بعد اطلاعنا واستقرائنا لهذا المخطوط اعتمدنا عنوان (شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي) بناءً على ما جاء في نهاية النسخة الأولى للمخطوط حيث قال مؤلفه: «الحمد لله الذي وفقنا لهذا القدر من شرح مفصلات أنوار التنزيل وتبيين مجملاته ودفع ما اورد على مرموزاته ومشكلاته حسبما قاده إليه ما حصلته من سائر العلوم» [42].

وكذلك ما يؤيد نسبة الكتاب للمؤلف ما جاء في نهاية النسخة الثالثة من المخطوط، حيث ذكر الناسخ ما نصه: «قال المؤلف –رحمه الله- قد تم في يوم الاثنين مِنْ شهر ربيع الثاني مِنْ سنة أثني وألف في بلدة شماخي[43]، الحمد لله الذي فقنا لهذا القدر مِنْ شرح معضلات أنوار التنزيل...» [44].

اختلفت مناهج المؤلفين وطرق بحثهم، فلكل منهم منهج خاص به يسير عليه ويتبعه في تأليفه كتابه

(44) المخطوط، النسخة الثالثة، لوحة : [ب/221].

المطلب الثاني: المؤلف في الكتاب

اختلفت مناهج المؤلفين وطرق بحثهم، فلكل منهم منهج خاص به يسير عليه ويتبعه في تأليفه كتابه ففي هذا الكتاب لم يضع المؤلف معالم منهجه في مقدمته، لذا كان لا بد من بيان منهج المؤلف في كتابه هذا وتوضيحه فبعد استقرائي لهذا

المخطوط بنسخه الثلاثة اتضح لي معالم منهج مؤلفه وتفصيله فيما يأتي:

1. يصدر المؤلف تفسير البيضاوي للآيات الكريمات بكلمة : «قوله» ثم يشرع بشرح القول منتقيًا بعض عباراته وليس كل القول، فبدأ بسورة يس إلى آخر القرآن في المخطوط بنسخه الثلاثة.
2. بعد إيراده قول البيضاوي يقول: دفع لما يقال، بعدها يبين رأيه بقوله: ووجه الدفع، مثال ذلك: عند شرحه قول البيضاوي: (ورفع بشر لانتفاض النفي المقتضي إعمال ما بـ إلا) حيث قال المؤلف : دفع لما يقال من أن مقتضى ما المشبهة بـ ليس هو نصب بشر كما في قوله تعالى : ((مَا هَذَا بَشَرًا))[45]، ووجه الدفع : أنَّ ما إنَّما يعمل بماشبهتها بـ ليس في النفي وههنا انتفى وجه الشبه لانتفاضه بـ إلا[46].
3. عند نقله عن العلماء أو الكتب أحيانًا بنقلها بالنص وأحيانًا بتصرف وقد بينت ذلك في مواضعه.
4. يورد القول تارة باسم المؤلف نحو: قال الجوهري، وأخرى باسم الكتاب مثل: وفي القاموس، وتارة يذكر القول ولا يشير إلى صاحبه ولا إلى الكتاب نحو: قيل أو قال.
5. استعمل بعض الألفاظ المختصرة مثل : المص : ويقصد المصنف، و ح : يعني حينئذ.
6. وضع عنوانات السور بأسمائها المعروفة إلا في بعض المواضع ذكرها بغير اسمائها منها : ذكره لسورة الزمر باسم : سورة التنزيل، وسورة غافر باسم : سورة المؤمن.

(45) سورة يوسف، من الآية : 31

(46) المخطوط، لوحة : [أ/4].

المطلب الثالث: المصادر التي اعتمد عليها المؤلف

تعد المصادر والمراجع من العناصر الأساسية والتي يحتاجها المؤلف لتجهيز كتابه وامداده بالمعلومات الصحيحة الدقيقة، لذا تنوعت المصادر التي اعتمد عليها الخلخالي في شرحه لتفسير البيضاوي، فصرح بأسماء بعضها وأخرى لم يصرح بها، كمصادر التفسير واللغة وغيرها مِنَ العلوم، وفيما يأتي ذكر للمصادر التي نقل منها وهي على وفق الآتي :

1. معاني القرآن، للفراء (ت:207هـ).
2. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت:322هـ).
3. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت:393هـ)

4. مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت : 437هـ).
5. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الصفهاني (ت:502هـ).
6. الكشاف، لجار الله الزمخشري (ت : 538هـ).
7. تفسير الراغب الاصفهاني (ت: 502هـ).
8. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازي (ت:606هـ).
9. القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ت : 817هـ).

المبحث الثالث: وصف النسخ الخطية ومنهجي في تحقيقها

المطلب الأول: وصف نسخ المخطوط

اعتمدت في إخراج هذا المخطوط على نسخ ثلاث، وفيما يأتي وصفهم:

1. النسخة الأولى : الأصل، لأنَّها الأقدم حسب تاريخ نسخها ورمزت لها بـ(أ).

- اسم المخطوط : حاشية حسين خلخالي على البيضاوي.
- التصنيف : تفسير .
- اسم المؤلف : حسين بن حسن الخلخالي (ت:1014هـ) .
- اسم الناسخ : غير معروف.
- سنة النسخ : ربيع الأول – سنة أربع وخمسين وألف من الهجرة.
- اسم المكتبة : بايزيد – اسطنبول.
- رقم المخطوط : 309 .
- عدد الأسطر : 35 .
- عدد الكلمات : يتراوح عددها بين (15 إلى 17) كلمة في السطر الواحد.
- عدد اللوحات : 159 لوحة .
- نوع الخط : التعليق .

2. النسخة الثانية : رمزت لها بـ(ب) :

- اسم المخطوط : حاشية الفاضل الحسين الخلخالي .
- التصنيف : تفسير .
- اسم المؤلف : حسين بن حسن الخلخالي (ت : 1014هـ).
- اسم الناسخ : غير معروف.
- سنة النسخ : أربع وسبعون وألف من الهجرة .
- اسم المكتبة : نور عثمانية اسطنبول.
- رقم المخطوط : 486 .
- عدد الأسطر : 17 .
- عدد الكلمات : يتراوح عددها بين (11 إلى 14) كلمة في السطر الواحد.

- عدد اللوحات : 415 لوحة .
- نوع الخط : التعليق .

3. النسخة الثالثة : رمزت لهات بـ(ج) :

- اسم المخطوط : حسين خلخالي علي بيضاوي.
- التصنيف : تفسير .
- اسم المؤلف : حسين بن حسن الخلخالي (ت : 1014هـ) .
- اسم الناسخ : محمد سعيد بن حاجي حسين القرشي .
- سنة النسخ : ذو القعدة – ثلاث وثمانون وألف من الهجرة .
- اسم المكتبة : مراد ملا – اسطنبول .
- رقم المخطوط : 226 .
- عدد الأسطر : 25 .
- عدد الكلمات : يتراوح عددها بين (14-16) كلمة في السطر الواحد .
- عدد اللوحات : 221 لوحة .

نوع الخط : التعليق .

المطلب الثاني: منهجي في التحقيق

إن لكل بحث علمي منهج واضح يسير عليه الباحث وينتهجه في إعداد بحثه

إن لكل بحث علمي منهج واضح يسير عليه الباحث وينتهجه في إعداد بحثه، لذا بعد حصولي على ثلاث نسخ للمخطوط قمت بالآتي :

1. رمزت للنسخة الأولى (أ) وجعلتها أصلاً، ورمزت للثانية (ب) والثالثة (ج) وجعلتهما مرجعًا لإكمال ما نقص في النسخة الأولى الأصل.
2. نسخت النص وأوضحته بما يتطلبه الخط العربي مِنْ علامات التنقيط والرموز وتقسيمات الكلام، مراعيًا بذلك قواعد الإملاء المعاصرة.
3. قابلت نسخ المخطوط وأثبت ما وقع مِنْ اختلاف بينها، والسقط الحاصل مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.
4. أثبت أسماء السور على ما هو مصطلح عليه في المصحف الشريف؛ لأنَّ المؤلف ذكرها في بعض المواضع بغير اسمائها المعروفة في المصحف، وميزتها بخط عريض.
5. وضعت قول البيضاوي بين القوسين: ( ) وأبرزته بخط عريض لتمييزه عن كلام المؤلف بعد ذكره كلمة: «قوله».
6. حققت الهمزة أينما سهلها المؤلف، وأثبت نقاط (ي) التي استعملها غير

منقطة، وقد تكون للناسخ.

7. استعملت القوسين المعقوفين : [ ] لما أضيفه مِنْ النسخ الأخرى مع الإشارة إلى ذلك في الهامش، وكذلك لما أضيفه مِنْ تعليقات، وأيضاً وضعت بينهما أرقام لوحات المخطوط.
8. وضعت الآيات القرآنية الواردة في النصف بين قوسين مزهرين: { }، وخرجتها بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش على وفق رسم المصحف.
9. خرجت القراءات القرآنية الوارد ذكرها، وعزوتها إلى مصادرها، وإنْ لم أجدها في كتب القراءات أوثقها مِنْ كتب التفسير التي تعنى بذكر القراءات القرآنية.
10. استعملت القوسين الهلالين : (()) لحصر الأحاديث الشريفة والآثار الواردة في النص، واتبعت في تخريجها على ما يأتي :

أ- إذا كان الحديث المذكور موجود في الصحيحين اكتفي بهما أو بأحدهما دون الحاجة إلى الحكم على الحديث.

ب- أما إذا لم يرد في الصحيحين أخرجه مِنْ كتب السنن والمسانيد مع ذكر حكم الحديث متتبعًا بذلك الكتب التي تذكر حكم الأحاديث.

11. استعملت القوسين: « « لحصر أقوال العلماء التي نقلها المؤلف عن أصحابها بالنص.
12. عزوت أقوال العلماء والأئمة والروايات الواردة في النص إلى مصادرها الأصلية التي اعتمد عليها المؤلف، وإذا لم أجدها أثبتها مِنْ المصادر التي تنقل عنهم لتوثيق هذه الأقوال مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.
13. ترجمت الإعلام الوارد ذكرهم ترجمة مختصرة عند ذكر العلم لأول مرة ولم أترجم للصحابة المشهورين رضي الله عنهم.
14. ترجمة البلدان والاماكن الواردة في النص.
15. أينما ورد ذكر الرسول أو النبي أثبت (صلى الله عليه وسلم) وأينما ذكر الصحاب أثبت (رضي الله عنهم) وأينما ذكر الأئمة أثبت (رحمهم الله).
16. أثبت المصطلحات المختصرة التي استعملها المؤلف، وقد تكون للناسخ دون الإشارة إليها في الهامش، وهذه المصطلحات هي:

- البط : ويقصد : الباطل .
- تع : يعني : تعالى .
- ح : يعني : حينئذ .

القسم الثاني: النص المحقق

سورة فصلت

قوله: **(إنْ جعلته مبتدأ)** بأنْ جعلته إسمًا للسورة[47].

قوله: **(وإضافة (تَنزيلٌ) الى (الرَحمَن الرَّحيم)[48] للدلالة على أنَّه مناط المصالح الدينية والدنيوية)** وذلك ؛ لأنَّ التنزيل إذا كان مِنَ الرحمن ؛ أي: المنعم الحقيقي الكثير الإنعام بالنعم الدنيوية كان فيه المصالح الدنيوية[ب/44] وكذا إذا كان مِنَ الرحيم ؛ أي: المنعم الحقيقي الكثير الإنعام بالنعم الأخروية كان فيه المصالح الدينية.

قوله: **(ونصب على المدح)**؛ أي: أريد بهذا الكتاب المفصل قرأنًا مِنْ صفة كيت وكيت أو على الحال مِنْ فصلت بأنْ يكون قيدًا له وحالاً مِنْ متعلقاته ؛ أي: فصلت آياته بعضها عن بعض أو فصلت بين الحق والباطل حال كونه قرأنًا عربيًا[49]، وقيل: نصب على التميز، وقيل: إن شئت نصبت على القطع[50].

قوله: **(وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه)** حيث كان بلسانهم فلم يثقل عليهم قراءته ولم يلتبس عليهم فهمه.

قوله: **(والأول أولى)**؛ أي: كونه صفة أخرى أولى مِنْ كونه صلة للتنزيل أو لفصلت ؛ لأنَّه واقع بين صفات القرآن، فلو كان صلة يقع التفرقة بين الصفات وبين الموصول وصلته، وأمَّا إذا كان صفة كان موافقًا لما قبله وما بعده.

قوله: **(سماع تأمل وطاعة)** يعني: أنَّ أصل السماع ليس بمنتف عنهم إنَّما المنتفى عنهم التأمل في المسموع وإطاعته فهو مِنْ قولك: تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنَّه لم يسمعه[51].

قوله: **(ومِنَ الدلالة على أنَّ الحجاب ... الخ)** يعني: لو قيل: بيننا وبينك حجاب المعنى: أنَّ الحجاب حاصل في وسط المعنيين[52]، وأمَّا على زيادة مِنَ الابتدائية كان المعنى: أنَّ الحجاب ابتداء منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ[53].

قوله: **(واعتقادهم)** عطف على قوله: **(إدراك ما يدعوهم)**، وقوله: **(ومج اسماعهم)**؛ أي: رمى أسماعهم عطف على اعتقادهم، وقوله: **)له(** صلة للمعطوفين الأخرين، فالمعنى: وهذه المذكورات مِنْ كون قلوبهم في الأكنة وكون الوقر في أذانهم وكون الحجاب مِنْ بينهم وبينه عليه السلام تمثيلات لبعد قلوبهم عن إدراك ما تدعوهم إليه مِنَ التوحيد والاستقامة في العمل وعن اعتقادهم ورمي اسماعهم له امتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه الصلاة والسلام[54].

قوله: **(أو فاستووا إليه بالتوحيد والإخلاص في العمل)** أي: «غير ذاهبين يمينًا

(47) أي: إن جعلت ﴿حٰمٓ﴾ اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ و﴿تَنزِيلُ﴾ خبره ، وإن جعلتها تعديدًا للحروف كان:﴿حٰمٓ﴾ لمبتدأ محذوف و﴿تَنزِيلُ﴾ بدل من﴿حٰمٓ﴾ ، أو خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف ، وقيل: يجوز أن يكون ﴿حٰمٓ﴾ مبتدأ ، و﴿تَنزِيلُ﴾ خبره. ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 379/4 ، والكشاف ، للزمخشري: 184/4.

(48) سورة فصلت – من الآية: 2.

(49) ينظر: الكشاف ، للزمخشري: 184/4.

(50) ينظر: إعراب القرآن ، للزجاج: 34/4.

(51) ينظر: الكشاف ، للزمخشري: 184/4.

(52) في (ب): «الجهتين»

(53) ينظر: المصدر السابق: 185/4.

(54) ينظر: حاشية محي الدين شي زاده على تفسير البيضاوي: 360/7.

ولا شمالاً ولا ملتفتين إلى ما يسوِّل لكم الشيطان مِنْ اتخاذ الأولياء والشفعاء، وتوبوا إليه مِنْ الشرك واستغفروه»[55].

قوله: **(أي لا يَمُنُّ به عليهم)** لأنَّه إنَّما يَمُنُّ للتفضيل، فأمَّا الأجر فحق أداؤه على ما في الكشاف[56].

قوله: **(في مقدار يومين أو نوبتين)** يعني: أنَّه لابد مِنْ تقدير المضاف أو جعل اليوم بمعنى: النَّوبة وذلك ؛ لأنَّ اليوم على ما هو المتعارف: هو زمان طلوع الشمس إلى غروبها[57] وهذا إنَّما يتأتى بعد خلق السموات والأرض.

قوله: **(ولعل المراد مِنَ (الْأَرْضَ)** [58] **ما في جهة السفل مِنَ الأجرام البسيطة)** فيتناول الماء والهواء والنار ومن خلقها**(فِي يَوْمَيْنِ)**[59] **أنَّه خلق لها أصلًا)** يعني: ليس المراد من خلقها في يومين أنَّه خلق بعض تلك الأجرام في يوم وبعضها في يوم آخر، بل المراد أنَّه خلق أولاً مادة تلك الأجرام وهيولاها ثمَّ خلق لها صورًا نوعية بها صارت أنواعا[60].

قوله: **(ذَلِكَ): الذي (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ)** إشارة إلى إتصال قوله تعالى:أئنَّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين[61] بما قبله بتوسط اسم الإشارة، وإنَّ المذكور قبل مستحق ؛ لأنْ يقال له: رب العالمين لأجل ما اتصفت بالقدرة التامة الكاملة.

قوله: **(مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها ... الخ)** إشارة إلى فائدة قوله تعالى: **(مِّن فَوْقِهَا):** بعد قوله: **(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ)** [62].

قوله: **(أقوات أهلها)** على أنْ يكون المضاف مقدر إذ لا قوت للأرض إنَّما القوت لأهلها أو أقواتًا تنشأ منها على أنْ يكون الإضافة لأدنى ملابسة[63].

قوله: **(والتصريح على الفذلكة**[64]**)** فإنَّ فيها الدلالة على كون[أ/45] الأيام أيامًا كاملة مِنْ غير زيادة ولا نقصان، ولو قال: في يومين، وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أنْ يريد باليومين الأولين والأخرين أكثرها[65]، والفذلكة في الحساب هي أن يذكر أولاً أشياء مفصلاً ثمَّ يجمع تلك التفاصيل ويكتب في مؤخر الحساب فذلك كذا وكذا.

قوله: **(أي استوت سواء بمعنى استواء)** يعني: أنَّ سواء مفعول مطلق مِنْ غير باب فعله[66].

قوله: **(والظاهر أنَّ ثمَّ لتفاوت ما بين الخلقين)** يعني: أنَّ ثمَّ ههنا للتراخي في المرتبة لكون الأجرام العلوية أعظم جرمًا، وأشرف بالنسبة إلى السفلية.

قوله: ولعله اراد به مادتها وهي الهيولي[67] على ما ذهب إليه الحكماء وبعض المتألهين مِنْ كون الأجسام مركبة مِنَ الهيولي والصورة[68]، ولكن مع القول بحدوثها أو الاجزاء المتصغرة التي تركبت منها على ما ذهب إليه المتكلمون مِنْ

(55) الكشاف ، للزمخشري: 186/4.
(56) ينظر: الكشاف ، للزمخشري: 187/4.
(57) ينظر: القاموس المحيط ، للفيروز آبادي: 489.
(58) سورة فصلت – من الآية: 9.
(59) سورة فصلت – من الآية: 9.
(60) ينظر: حاشية محي الدين شي زاده على تفسير البيضاوي: 363/7.
(61) سورة فصلت – من الآية: 9.
(62) سورة فصلت – من الآية: 10.
(63) ينظر: حاشية محي الدين شي زاده على تفسير البيضاوي: 365/7 ، وحاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: 296/8.
(64) الفذلكة في اللغة: فَذْلَكَ حسابَهُ: أنهاهُ وفَـرَغَ منه ، مخترعةٌ مِنْ قوله: إذا أجْمَلَ حسابَهُ: فَذلكَ كَذا وكذا فهو خلاصة ما فُصِّل ، أو مُجملُه ، أمَّـا اصطلاحًا: فهو مأخوذ مـنْ قول الحساب: فَذَلك كان كذا ، فذلك إشـارة إلى حَاصل الحساب ونتيجته ، ثم أطلق لفظ الفذلكة لكل ما هو نتيجة متفرعة على ما سبق حسابا كان أو غيره ، ونظير هذا الأخـذ أخذهم نحو البسملة والحمدلة ونظائرهما من الكلمات المركبة المعلومة ، وهذا يسمى بالنحت ، وقد يكون مثل ذلك في النسب كعبقسي وعبشمي إلى غير ذلك ، فهو مصطلح فنى معناه: إجمال المعنى في عبارة موجزة بعد بسطه فى عبارة طويلة. ينظر: القاموس المحيط ، للفيروز آبادي: 950 والكليات لأبي البقاء: 696-697.
(65) ينظر: الكشاف ، للزمخشري: 188/4.
(66) ينظر: حاشية محي الدين شي زاده على تفسير البيضاوي: 365/7.
(67) **الهيولى:** هو لفظ يوناني بمعنى الأصل و المادة ، وله معنيان: الأول معنى كلامي: وهو جوهر بسيط لا يتم وجـوده بالفعل دون وجـود ما حل فيه ، والثاني معنى فلسفي: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم مِنَ الاتصال والانفصال محل للصورتين: الجسمية، والنوعية. ينظر: التعريفات ، للجرجاني: 257 ، والكليات ، لأبي البقاء: 955.
(68) ينظر: الحكمة المتعالية ، للشيرازي: 434/3.

كون الأجسام مركبة مِنْ أجزاء لا تتجزأ[69].

قوله: **(على أنَّ الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للمرتبة)** دفع لما يتوجه على الوجه الثاني مِنْ أن الأرض كانت مخلوقةً قبل السماء بيومين فما وجه انتظامها مع السماء في الأمر بالإتيان في الوجود؟ ووجه الدفع أمور: **الأول:** أنَّ الخلق في قوله تعالى: **(خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ)** بمعنى: التقدير لا بمعنى: الإيجاد فيصح حينئذ الانتظام، **والثاني:** أنَّ الترتيب بين الأرض والسماء مِنْ قوله تعالى: **(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)** في المرتبة لا في الوجود الزماني **والثالث:** أنَّ الترتيب في الإخبار لا الوجود ؛ أي: أخبر أولاً بخلق الأرض ثمَّ أخبر بخلق السماء[70].

قوله: **(وقد عرفت ما فيه)** مِنْ كون وجود الأرض بعد وجود السماء وخلقها فلا يصح انتظام حدوث السماء ووجودها مع وجود الأرض في الأمر بالإتيان.

قوله: **(مِنَ المؤاتاة)** قال الجوهري: «تقول آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة، إذا وافقته وطاوعته»[71].

قوله: **(وما قيل مِنْ أنَّه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب إنَّما يتصور على الوجه الأول والأخير)** ولا يتصور على الوجهين المتوسطين وذلك ؛ لأنَّ قدرتهما على الجواب إنَّما يكون بعد وجودهما، فالوجه الأول والآخر لما كان المطلوب بالأمر بالإتيان أمرًا آخر غير الوجود، وكان الوجود مقررًا فيهما يتصور فيهما القدرة على الجواب، وأمَّا الوجهان المتوسطان لما كان المطلوب بالإتيان فيهما نفس الوجود فلم يتصور فيهما تلك القدرة.

قوله: **(وإنَّما قال طائعين على المعنى)**؛ أي: قال طائعين بلفظ الجمع مِنْ ذوي العقول مع أنَّهما إثنان وليست منهم فكان ينبغي أنْ يقول: طائعين، بناء على لفظ السماء والأرض، أو طائعات، بناء على معناهما، فإنَّهما بمعنى: السموات والأرضون، وإنَّما قال كذلك نظرًا إلى المعنى وباعتبار كونهما مخاطبين، فإنَّهما لما جعلا مخاطبين ومجيبين صارا كأنَّهما ذا عقول فجمعا جمعهم[72].

قوله: **(فخلقهن خلقًا إبداعيًا)**؛ أي: خلقًا غير مماثل لشيء، قال الجوهري: «أبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال، والله تعالى بَديعُ السموات والأرض»[73].

قوله:و **(سَبْعَ سَمَوَاتٍ) حال)** أي: فقضاهن كائنة سبع سموات أو متعددة سبع سموات[74].

قوله: **(بأنْ حملها عليه اختيارًا)** هذا إذا كانت ذوات شعور وكانت أفعالها الصادرة عنها اختيارية[ب/45] أو طبعا إذا لم يكن كذلك.

الخاتمة

في نهاية البحث أجد من الضروري أن أجمل ما كان نتيجة للمادة التي بحثتها

(69) ينظر: المطالب العالية من العلم الإلهي ، للرازي: 198/6 ، والمواقف ، للإيجي: 530/1.

(70) ينظر: الكشاف ، للزمخشري: 189/4 ، وحاشيتا القونوي وابن التمجيد على البيضاوي: 131/17.

(71) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 2262/6.

(72) ينظر: حاشية محي الدين شي زاده على تفسير البيضاوي: 371/7.

(73) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 1183/3.

(74) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس: 99/5 ، وحاشية محي الدين شي زاده على تفسير البيضاوي: 371/7.

تحت هذا العنوان، وأوجزها بالآتي :

1. أسهم المصنف إسهاماً كبيراً في النشاط العلمي الذي ساد عصره.
2. يعد الشيخ – رحمه الله – بحق موسوعة علمية متنوعة، فهو مفسر وفقيه وأصولي ومتكلم ونحوي وبلاغي وغير ذلك، ويمكن عمل دراسات علمية حول جهوده في كل علم من هذه العلوم ودراسة منهجه فيها.

أسهم المصنف إسهاماً كبيراً في النشاط العلمي الذي ساد عصره

3. إتضح لنا مدى ثقافة المفسر واطلاعه على العلوم الشرعية المختلفة، كما أعطت صورة واضحة لمدى ارتباط هذه العلوم بعلم التفسير لاسيما علمي النحو والبلاغة.
4. تنوعت طبيعة الجهد الذي أنفقه الشيخ الخالخالي في شرحه لتفسير البيضاوي، فهو لم يقتصر على جمع الأقوال المأثورة وحشد الآراء المحتملة التي رددها السابقون في شرح هذه الآية أو تلك فحسب، بل أضاف إلى هذا الجهد جهداً آخر عقلياً، تمثل في حسن التصنيف والترتيب، وبراعة العرض والإيراد، ودقة الفهم وعمق الاستيعاب لما يورد من آراء وأقوال

تنوعت طبيعة الجهد الذي أنفقه الشيخ الخالخالي في شرحه لتفسير البيضاوي

5. حرص على عزوها إلى أصحابها وسوقها مقرونة بأدلتها، ثم تراه بعد ذلك ينقد ويفسّر ويحلل، وينتخب من الآراء ما تسنده الحجة ويدعمه الدليل، أو يرفض الآراء جميعها منتهياً إلى رأي جديد يراه جديراً بالقبول من جهة النقل أو العقل أو من جهتها معاً.
6. مزج الشيخ الخلخالي في شرحه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ففسّر القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

المصادر

المصادر والمراجع

1. الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ) دار العلم للملايين ، ط15 ، 2002م.
2. تاريخ الدولة العثمانية ، ليلماز أوزتونان ، ترجمة عدنان محمد سلمان ، مؤسسة فيصل ، تركيا ، ط1، 1988م.
3. تاريخ الدولة العثمانية مِنَ النشوء إلى الانحدار، خليل إينالجيك ، ترجمة: محمد الأرنؤوط ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط1، 2002م.
4. تاريخ الدولة العليّة العثمانية ، لمحمد فريد بك المحامي ، تحقيق: الدكتور إحسان حقي ، دار النفائس ، ط 10، 1427ه/2006م.
5. تاريخ الشعوب الإسلامية ، لكارل بروكلمان ، ترجمة: منير البعلبلكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط10، 1984م

6. تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، لمحمد سهيل طقوش ، دار النفائس- بيروت ، ط3 ، 1434ه2013-م.
7. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل ، الدمشقي (ت: 1111ه)، دار صادر – بيروت ، ب ط ت.
8. الدولة العثمانية ، عبد العزيز محمد الشناوي ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1400ه1980-م.
9. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، لأكمل الدين إحسان أوغلى ، نقله إلى العربية صالح سعداوي ، إرسيكا ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1، 2001م.
10. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: 1067ه) مكتبة المثنى – بغداد ، 1941م.
11. محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني ، لعمر موسى باشا ، مطبعة الإحسان دمشق ، ب ط ، 1980م.
12. المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية ، لعامر محمود ، مجلة دراسات تاريخية – العددان ١١٧ -١١٨كانون الثاني- حزيران لعام٢٠١٣م.
13. المصور في التاريخ ، لشفيق جحا ، منير البعلبكي ، بهيج عثمان ، دار العلم للملايين ، ب ط ت.
14. معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:626هـ)، دار صادر، بيروت ، ط2 ، 1995م.
15. معجم المؤلفين عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: 1408هـ) مكتبة المثنى – بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب ط ت.
16. تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: 538هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1407هـ.
17. حاشية محي الدين شيخ زاده ، لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت:951) ، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1419ه – 1999م.
18. القاموس المحيط ، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت:817هـ) ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - بإشراف:

محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ،ط8 ، 1426هـ - 2005م.
19. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، لصدر الدين الشيرازي (ت:1050ه) ، دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ب ت.
20. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:393هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1407هـ - 1987م.
21. المطالب العالية من العلم الإلهي ، للإمام فخر الدين الرازي (ت:606ه)، تحقيق: أحمد حجازي السقا ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1407ه – 1987م.
22. معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:395ه) تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ب ط ، 1399هـ - 1979م.
23. الكليات ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت:1094ه)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ب ط ت.